

الدكتور احمد عيسى بك

تاريخ  
البيمارستان في الإسكندرية

مطبوعات

جمعية النعمان الاسلامي بدمشق

اهداءات ٢٠٠٣

أسرة /عبد الرزاق باها المنصوري .

مطبوعات جمعية التمدن الاسلامي بدمشق

# تاريخ البنائين في الاسلام

تأليف

الدكتور محمد عيسى بك

العضو بالجمعية العلمي المصري والعضو بالأكاديمية الدولية لتاريخ العلوم بباريس  
والعضو بالجمعية العلمي العربي بدمشق والعضو بالجلس الاعلى لدار الكتب  
الملكية والعضو باللجنة العليا لشئف فؤاد الصعي

الطبعة الثانية: دمشق

١٣٥٧ هـ - ١٩٣٩ م







































صحيفة

- ٢٧٩ يمارستانات المغرب
- ٢٨٠ ١ : يمارستان تونس
- ٢٨٠ ومن الأطباء الذين عملوا بيمارستان تونس :
- ١ : محمد الشريف الحسيني الزكراوي
- ٢٨٠ ٢ : يمارستان مراکش أو يمارستان أمير المؤمنين المنصور أبي يوسف
- ٢٨٢ الأطباء الذين خدموا في هذا المارستان :
- ١ : أبو اسحاق ابراهيم الداني — ٢ : محمد بن قاسم
- ٢٨٢ ٣ : يمارستان سلا
- ٢٨٤ ٤ : يمارستان سيدي فرج بفاس
- ٢٨٨ يمارستان الأندلس
- ٢٨٨ ١ : يمارستان غرناطة
- ٢٩٣ فهرس صور الكتاب
- ٢٩٤ بيان الخطأ وصوابه
- ٢٩٥ مصنفات المؤلف







# الباب الأول

في

نشأة الممارسات ونظامها وأطبائها وأرزاقها

















































































































يراقبوا الله عز وجل في ذلك فينبئى للمحتسب أن يخوفهم ويعظمهم  
وينذرهم بالقوية والتعزير ويعتبر عليهم عقايرهم في كل أسبوع . «  
ثم ذكر الموائف غشوشهم مما لا يتسع المقام هنا لذكرها فنجتزئ  
عنها بما ذكرنا .



# الباب الثاني

في

بيمارستانات اليهود الإسلامية على التفصيل































## ٥ - بيمارستان القشاشين

قال القاضي محي الدين بن عبد الظاهر<sup>(١)</sup> : بلغني أن البيارستان كان أولاً بالقشاشين يعني المكان المعروف الآن ( أي في زمن ابن عبد الظاهر ) بالحراطين على القرب من الجامع الأزهر ، وهناك كانت دار الضرب بناها مأمون البطاحي وزير الآمر بأحكام الله قبالة البيارستان .

قال تقي الدين المقرئ<sup>(٢)</sup> في كلامه عن درب خربة صالح : « هذا الدرب على يسرة من سلك من أول الحراطين إلى الجامع الأزهر كان موضعه في القديم مارستاناً ثم صار مساكناً ، وعرف بخربة صالح ، وفيه سوق الصناديقين . وقال عن سوق الصناديقين إنه تجاه المدرسة السيوقية كان موضعه القديم من جملة المارستان فيستفاد من ذلك أن ذلك المارستان قد عفا أثره قبل محي الدين بن عبد الظاهر<sup>(٣)</sup> .

(١) صبح الأعشى ج ٣ ص ٣٦٩

(٢) الغلط والآثار ج ٢ ص ٤٠

(٣) هو محمد بن عبد الله بن عبد الظاهر بن ثشوان بن عبد الظاهر القاضي فتح الدين ابن القاضي محي الدين الجداوي الرومي المصري المعروف بابن عبد الظاهر صاحب ديوان الإنشاء ومؤتمن المملكة بالديار المصرية ، مولده بالقاهرة سنة ٦٠٨ هـ تفقه ومهر في الإنشاء والأدب وسار في السولة المنصورية (فلاوون) برأيه وعقله وحسن نيابته توفي بقلعة دمشق سنة ٦٩١ هـ ودلن بسفح قاسيون ( المنهل الصافي ) « مخطوط »

## ٦ - بيمارستان السَّقَطِيَّين

كان هذا البيمارستان في سوق السقطيين خارج باب زويلة  
بجوار دار التفاح . قال ابن أبي أصيبعة <sup>(١)</sup> :

كان أبو الحجاج يكحل في البيمارستان بالقاهرة غير الموضع  
الذي صار حينئذ بالقاهرة بيمارستاناً وهو من جملة القصر ، يريد  
أنه غير بيمارستان صلاح الدين أو البيمارستان الناصري . قال  
وكان البيمارستان في ذلك الوقت في السقطيين أسفل القاهرة .  
الأطباء الذين عملوا في هذا البيمارستان :

١ - شهاب الدين أبو الحجاج يوسف الكحلّال كان يكحل  
في هذا البيمارستان .

## ٧ - البيمارستان الناصري أو الصلاحي

أو بيمارستان صلاح الدين

لما ملك السلطان صلاح الدين يوسف بن يوسف بن أيوب <sup>(٢)</sup>  
الديار المصرية (سنة ٥٦٧ هـ ١١٧١ م) واستولى على القصر قصر  
الفاطمين كان في القصر قاعة بناها العزيز بالله في سنة ٣٨٤ هـ

---

(١) طبقات الأطباء ج ٢ ص ٢٤٧

(٢) صبح الاعشى ج ٣ ص ٤٠

( ١٩٤ م ) فجعلها السلطان صلاح الدين بيارستاناً وهو البيارستان العتيق داخل القصر . وهو باق على هيئته إلى الآن ( أي إلى زمن القلقشندي وكانت وفاته سنة ٨٢١ هـ ( ١٤١٨ م ) ويقال إن فيها أي القاعة طلساً لا يدخلها نمل ، وإن ذلك هو السبب الموجب لجعلها بيارستاناً .

وقال أبو السرور البكري<sup>(١)</sup> في كلامه على البيارستان :  
قصر أولاد الشيخ من جملة القصر الكبير وكان قاعة فسكنها الوزير صاحب معين الدين حسين ابن شيخ الشيخ صدر الدين بن حمويه ، في أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب فعرف به المارستان العتيق .

قال القاضي الفاضل في متجددات سنة ٥٧٧ هـ ( ١١٨١ م ) :  
« أمر السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بفتح مارستان للبرضى والضعفاء فاختر مكاناً بالقصر ، وأفرد برسم من جملة الرباع الديوانية ، مشاهرة<sup>(٢)</sup> مبلغها مائتا دينار وغلّات جهتها الفيوم واستخدم له أطباء وكعّالين وجراحين وشارفاً وعاملاً وخذّماً ووجد الناس به رقاً وبه نفعا . » وقال ابن عبد الظاهر :

(١) كتاب قطف الأزمار في الخطط والآثار مخطوط

(٢) السلوك للمقريزي ص ٨٧

« كان البيمارستان قاعة بناها العزيز بالله سنة ٣٨٤ هـ (٩٩٤ م) وقيل إن القرآن مكتوب على جدرانها . ومن خواصها أنه لا يدخلها غل لطلسم بها ولما قيل ذلك لصلاح الدين يوسف بن أيوب قال هذا يصلح أن يكون بينارستاناً وسألت مباشره عن ذلك فقالوا صحيح . »

قال أبو الحسن محمد بن جبير <sup>(١)</sup> الرحالة الأندلسي عند زيارته لمدينة القاهرة سنة ٥٧٨ هـ (١١٨٢ م) وذلك في عهد السلطان صلاح الدين :

« وبما شاهدناه في مفاخر هذا السلطان ، المارستان الذي بمدينة القاهرة وهو قصر من القصور الرائعة ، حسنًا واتساعًا . أبرزه لهذه الفضيلة تأجرًا واحتسابًا ، وعين قيسًا من أهل المعرفة وضع لديه خزائن العقاقير ومكثته من استعمال الأشربة وإقامتها على اختلاف أنواعها ، ووضعت في مقاصير ذلك القصر أسيرة يتخذها المرضى مضاجع كاملة الكسب . وبين يدي ذلك القيم خدمة يتكفون بتفقد أحوال المرضى بكثرة وعشية ، فيقابلون من الأغذية والأشربة بما يليق بهم . وبإزاء هذا الموضع موضع مقنطع للنساء المرضى ولهن أيضًا من يكفلن ويتصل بالموضعين المذكورين

---

(١) رحلة ابن جبير ص ١٠ طبع لندن

















وخدمتهم في الحمام ، وقرر لهم على ذلك الجامعيات الوافرة وعملت  
 النخوت والفرش والطارايح والأقطاع والمخدات واللحف والملاءات  
 لكل مريض فرش كامل . وأفرد لكل طائفة من المرضى أمكنة  
 تختص بهم ، فجعلت الأواوين الأربعة المتقابلة للمرضى بالحليات وغيرها .  
 وجعلت قاعة للرمد ، وقاعة للجرحى ، وقاعة لمن أفرط به الإسهال ،  
 وقاعة للنساء ، ومكان حسن للممرورين من الرجال ومثله للنساء ،  
 والمياه تجري في أكثر هذه الأماكن . وأفردت أماكن لطبخ  
 الطعام والأشربة والأدوية والمعاجين وتركيب الأعكال  
 والشيافات<sup>(١)</sup> والسفوفات وعمل المراهم والأدهان وتركيب  
 الدرياقات ، وأماكن لحواصل العقاقير وغيرها من هذه الأصناف  
 المذكورة ومكان يفرق منه الشراب وغير ذلك مما يحتاج إليه  
 ورتب فيه مكان يجلس فيه رئيس الأطباء لإلقاء درس طب يتنفع  
 به الطلبة . ولم يحصر السلطان آثابه الله هذا المكان المبارك بعده  
 في المرضى يقف عندها المباشر ويمنع من عداها ، بل جعله سبيلا  
 لكل من يصل إليه في سائر الأوقات من غني وفقير ، ولم يقتصر  
 أيضاً فيه على من يقسم به من المرضى بل رتب لمن يطلب وهو  
 في منزله ما يحتاج إليه من الأشربة والأغذية والأدوية ، حتى إن

(١) الشيافة : الفتيلة

هوئلاء زادوا في وقت من الأوقات على متين غير من هو مقيم  
 بالبيارستان . ولقد باثرتة في شوال ( النويرى يروي ذلك ) سنة  
 ٧٠٣ هـ وإلى آخر رمضان سنة ٧٠٧ فكان يصرف منه في بعض  
 الأيام من الشراب المطبوع خاصة ما يزيد على خمسة قناطر  
 بالمصري في اليوم الواحد للمرتبين والطواريء غير السكر  
 والمطايخ من الأدوية وغير ذلك من الأغذية والأدهان والبرياقات  
 وغيرها ورتب في البيارستان من المباشرين والأمناء من يقوم  
 بوظائفه وابتاع ما يحتاج إليه من الأصناف وضبط ما يدخل إلى  
 المكان وما يخرج منه خاصة من غير أن يكون لهم تعلق في  
 استخراج الأموال ، وإنما يتعاون الأصناف ويبيعون بئمنها على  
 ديوان صندوق المستخرج ويكتبون في كل شهر عمل استحقاق  
 لسائر أرباب الجامعات والخزانات من سائر أرباب الوظائف  
 والمباشرين يكتبه العامل ويكتب عليه الشهود وأمر الناظر بصرفه  
 يبيعون بئمنها على ديوان صندوق المستخرج ويصرف على حكمه وهذه  
 الطائفة من المباشرين بالبيارستان هم مباشرو الإدارة ، وأما  
 مباشرو الصندوق والرباع فالإهم يرجع تحرير جهات الأوقاف في  
 الخلق والمسكون والمعتل واستخراج الأموال ومحاسبات المستأجرين  
 وصرف الأموال بمقتضى حوالة مباشري الإدارة ومباشرة العمارة

وعمل الاستحقاق ، ولا يتصرفون في غير ذلك كما لا يتصرف مباشر الإدارة في صرف الأموال إلا حوالة بإرادتهم .  
وأما العمارة فلها مباشرين ينفردون بها من ابتاع الأصناف واستمال الصباغ وحرمة الأوقاف وغير ذلك مما يدخل سيفه وظيفتهم وهم يحالون بأثمان الأصناف على الصندوق كما يفعل في الإدارة وينقل عليهم من الصندوق من المال ما يصرفونه لأرباب الأجر خاصة ويكتبون في كل شهر عمل استحقاق بشمن الأصناف وأرباب الأجر ويخصونه بما أحالوا به على الصندوق وما وصل إليهم من المال ، ويسوقونه إلى فايز أو متأخرويرفع كل طائفة من هؤلاء المباشرين حساباتهم مياومة ومشاهدة ومسانة إلى الناظر والمستوفى في هذا ما يتعلق بالبيارستان .

#### من أبي بن يحيى البيارستان المنصوري

قال ابن دقاق <sup>(١)</sup> : في سنة ٦٤٩ أمر المزم بإخلاء قلعة الروضة ولم يترك بها أحداً . ثم إن الملك المنصور قلاوون لما أراد عمارة البيارستان أخبرها وأخذ حواصلها وعمر بها المارستان والمدرسة والقرية . وقال جلال الدين السيوطي <sup>(٢)</sup> : فلما تسلطن

(١) كتاب الانتصار بواسطة عقد الأمصار ج ٤ ص ١١٠

(٢) حسن المحاضرة ج ٢ ص ٢٧٠ طبع القاهرة

الملك المنصور قلاوون وشرع في بناء المارستان والقبة والمدرسة المنصورية ، نقل من قلعة الروضة ما يحتاج إليه من العمدة الصوان والعمدة الرخام التي كانت قبل عمارة القلعة بالبراني وغير ذلك . ولما تمت عمارة المدرسة والبيمارستان وكان على عمارتها الأمير علم الدين سنجر الشجاعي ، دخل عليه الشرف البوصيري فدحه بقصيدة أولها :

أنشأت مدرسة ومارستانا لتصحيح الأديان والأبدان  
فأعجبه ذلك منه وأجزل عطاءه ، ورتب في المدرسة غير  
الدروس الفقهية درس طب .

#### مرتبة نظر البيمارستان

قال أبو العباس أحمد القلقشندي <sup>(١)</sup> ابنتي السلطان قلاوون . رحمه الله دارست الملك أخت الحاكم ، المعروفة بالدار القطبية ، ببيمارستانا في سنة ٦٨٣ هـ ١٢٨٤ م بمباشرة الأمير علم الدين منجر الشجاعي ، وجعل من داخله المدرسة المنصورية والتربة فبقي . معالم بعض الدار على ما هو عليه وغير بعضها . وهو من المعروف العظيم الذي ليس له نظير في الدنيا . ونظيره مرتبة سنية يتولاه . الوزراء ومن في معانهم قال في مسالك الأبصار : « وهو الجليل .

(١) صبح الأعشى ج ٣ ص ٣٦٩





في ذلك حتى أنعمت مؤنسة خاتون ببيعها ، على أن تعوض عنها بدار تلمها و عيالها ، فموضت قصر الزمرد برحبة باب العيد مع مبلغ من المال حمل إليها . ووقع البيع على هذا فندب السلطان الأمير منجر الشجاعى للمارة فأخرج النساء من القطبية من غير مهلة ، وأخذ ثلاثمائة أسير ، وجمع صناع القاهرة ومصر وتقدم إليهم بأن يعملوا بأجمعهم في الدار القطبية ، ومنعهم أن يعملوا لأحد في المدينتين شغلاً وشدد عليهم في ذلك ، وكان مهاباً فلازموا العمل عنده ونقل من قلعة الروضة ما احتاج إليه من العمد الصوان والعمد الرخام والقواعد والأعتاب والرخام البديع وغير ذلك . وصار يركب إليها كل يوم وينقل الأتقاض المذكورة على العجل إلى المارستان ، ويعود إلى المارستان فيقف مع الصناع على الأساقيل حتى لا يتوانوا في عملهم وأوقف مماليكه بين القصرين ، وكان إذا مر أحد ولو جلّ أزموه أن يرفع حجراً ويلقيه في موضع المارة فينزل الجندي والرئيس عن فرسه حتى يفعل ذلك فتترك أكثر الناس المرور هناك .

#### استمرار عهد اليمارستان المنصوري بالعمارة والإصلاح

وفي عهد الملك الناصر محمد بن المنصور قلاوون في سنة .

٧٢٦ هـ حصل " الشروع في إصلاح البيمارستان المنصوري والقبة والمدرسة وكان الأمير جمال الدين آقوش الأشرفي ناظر الأوقاف قبل ذلك ، كان قد رسم أن لا يترك أحداً من المرضى بالبيمارستان ومن عوفي أو أبل يخرج منه فخلت بذلك الأواوين من المرضى وأكثر القاعات ولم يبق بالبيمارستان إلا الممرورون وبعض المرضى وحصل الشروع في العمارة فأصلحت الجدران وجدد البياض والأدهان ونحت ظاهر القبة والمدرسة والمأذنة بالأزامل واستمرت العمارة إلى أواخر جمادى الأولى وخلت الأواوين الأربعة بالبيمارستان من مستهل هذه السنة إلى يوم الثلاثاء حادي عشر جمادى الأولى فرسم في هذا اليوم بتنزيل المرضى وكان جملة ما صرف على هذه العمارة تقارب ستين ألف دينار .

وقال المقرئ: «<sup>(٢)</sup> في يوم الاثنين سادس شعبان سنة ٧٢٦ هـ أنشأ الأمير جمال الدين آقوش نائب الكرك قاعة بالبيمارستان المنصوري ونحت جدر البيمارستان والمدرسة المبنية بالحجر كلها داخلاً وخارجاً وطراً (طلا) الطراز الذهب من خارج القبة والمدرسة حتى صار كأنه جديد وعمل خيمة يزيد طولها على مائة ذراع وركبها

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب للنوري حوادث سنة ٧٢٦

(٢) السلوك في معرفة دول الملوك ج ٢ ص ٢٦١



نفس وتارات يزدون وينقصون ، ولا يخرج منه كل من يبرأ من  
 مرض حتى يعطى إحساناً إليه وإنعاماً : كسوة للباسه ، ودراهم لنفقاته  
 وأما ما يعالج المرضى به من قناطر الأشربة المقطرة والأكحال  
 الرقيقة الطيبة التي تسحق فيها دنانير الذهب الأبريز ، وفصوص  
 الياقوت النفيس ، وأنواع اللؤلؤ الثمين ، فشئ يهول السماع ،  
 ويعم ذلك الجمع ، إلى ما يضاف إلى ذلك كله من لحوم الطير  
 والأغنام على اختلافها وتباين أصنافها مع ما يحتاج إليه كل واحد  
 ممن يوافيه ويحل فيه ، لقرشه وعرشه من غطاء ووطاء ومشوم  
 ومزورور وشبه ذلك مما هو معدّ على أكمله هنالك ، وما ليس  
 مثله إلا في منزل أمير أو خليفة وقد رتب على ذلك كله من  
 الأطباء الماهرين والشهود المبرزين والنظار العارفين والخدّام  
 المتصرفين كل من هو في معالجته موثوق بعادته ، مسلم له في  
 معرفته ، غير مقصر في نصرفه وخدمته . ولو استقصيت الكلام في  
 هذا المارستان وحده لكان مجلداً مستقلاً بنفسه ، أو في مبانيه  
 الرائقة وصناعاته الفاتقة وتواريخه المذهبة وتقوشه العجيبة المتخبة  
 التي ترفل في ملابس الأعجاب وتسحر العقول والألباب ما  
 يقتن النفوس ، ويكشف أنواع البدور والشموس وتمجّز عن  
 وصف بعضها خطا الأقلام في ساحة الطروس فما وقمت عين





هذا رجل عامي وقد أخطأ وما بقي إلا الستر عليه» فاعترف أنه لا يدري الحساب وأنه عاجز عن المباشرة وألزم نفسه ألا يعود إليها أبداً بإشهاد وكتب فيه قضاة القضاة ونوابهم يتضمن قوارع مُسنَّة وما زال النائب بأخصامه حتى كفوا عنه . ثم قام لكشف أحوال المرضى فوجدت فرشهم قد تلفت ولها ثلاث سنين لم تغير فسد النائب خلله والنصرف .

وفي شهر ذي القعدة سنة ٧٥٥ في عهد سلطنة السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون خلع السلطان على الأمير صرغتمش واستقر في نظر المارستان المنصوري وكان قد تعطل نظره من متحدث ترك وانفرد بالكلام فيه القاضي علاء الدين بن الأطروش وفسد حال وقفه ، فإنه كان يكثر من هادأة أمراء الدولة ومديريها ويحمل عمارة رباحه حتى تشققت ، فنزل إليه الأمير صرغتمش ودار فيه على المرضى فساء ما رأى من ضياعهم وقلة العناية بهم ، فاستدعى القاضي ضياء الدين يوسف بن أبي بكر محمد بن خطيب بيت الأبار الشامي وعرض عليه التحدث في المارستان كما كان عوضاً عن ابن الأطروش ، فامتنع من ذلك ، فما زال به حتى أجاب وركب إلى أوقاف المارستان بالمهندسين لكشف ما يحتاج إليه من العمارة ،



أوقافه ودفاته في داخل خزانة الكتب فاحتوت بما فيها من كتب العلم والمصاحف ونسخ الوقفيات والدفاتر . ووقفه يشتمل على وقف الملك المنصور قلاوون الكبير الأصلي ووقف ولده الملك الناصر محمد بن قلاوون ووقف ابن الناصر أبي الفداء إسماعيل وغير ذلك من مراتب الملوك من أولادهم ثم إنه وجد دفتر من دفاتر الشطب المستجدة من بعض المباشرين وذلك بعد الفحص والتفتيش فاستدل به على بعض الجهات المتكثرة ، وفي خطط مصر التي وضعها الحملة الفرنسية على مصر من سنة ١٧٩٨ إلى سنة ١٨٠١ قال المسيو جومارا Gomara أحد العلماء الذين استفادهم نابليون مع الحملة : أنشئ في القاهرة منذ خمسة قرون أو ستة ، عدة مارستانات تضم الأعمى والمرضى والمجانين ، ولم يبق منها سوى مارستان واحد هو مارستان قلاوون ، تجتمع فيه المجانين من الجنسين . ومارستان القاهرة هذا لا يزال أكثر شهرة من مارستان دمشق ، وقد كان في الأصل مخصصاً للمجانين ثم جعل لقبول كل نوع من الأمراض ، وصرف عليه سلاطين مصر مالا وافرا ، وأفرديه لكل مرض قاعة خاصة وطبيب خاص ، ولذا كثر فيه قسم منزلة عن قسم الإناث . وكان يدخله كل المرضى فقراء وأغنياء بدون تمييز ، وكان يجلب إليه الأطباء من مختلف جهات الشرق ويميز

لهم العطاء ، وكانت له خزانة شراب «صيدلية» مجهزة بالأدوية والأدوات . ويقال إن كل مريض كانت نفقاته في كل يوم ديناراً ، وكان له شخصان يقومان بخدمته . وكانت المورقون من المرضى يعزلون في قاعة منفردة يشنفون فيها آذانهم بسماع ألحان الموسيقى الشجية أو يتسلون باستماع القصص يلقيها عليهم القصاص وكان المرضى الذين يستعيدون صحتهم يعزلون عن باقي المرضى ويمتحنون بمشاهدة الرقص ، وكانت تمثل أمامهم الروايات المضحكة وكان يعطى لكل مريض حين خروجه من المارستان خمس قطع من الذهب ، حتى لا يضطر إلى الالتجاء إلى العمل الشاق في الحال . وبني السلطان قلاوون المدرسة التابعة للمارستان في المكان الذي هي فيه في الوقت الحاضر وكان يدرس فيها الطب والفقه

وقال بريس دافن<sup>(١)</sup> *Prisse d'avennes* كانت قاعات المرضى تدفأ بإحراق البخور أو تبرد بالمرائح الكبيرة الممتدة من طرف القاعة إلى الطرف الثاني ، وكانت أرض القاعات تغطي بأغصان شجر الحناء أو شجر الزمان أو شجر المصطكي أو بعصاليج الشجيرات

---

(1) *Prisse d'avennes : L'Art Arabe, les monuments du caire Paris 1877*



وزالت عنه السعادة الأولى التي كان يرفل في حلالها ، أو ببساطة  
أخرى كاد لا يبقى منه غير ظله بسبب ظلم الترك والماليك وإهمالهم  
ولاً سيما تبديد أمواله .

وعند ما دخله المسيو جومار كان عدد المرضى فيه خمسين أو  
ستين عدا المجانين وكانوا يسكنون قاعات في الدور الأرضي  
مفتوحة من كل جانب ، وليس بها أسرة أو أثاث . وكان المجانين  
يشغلون قسماً آخر من البناء منقسماً إلى قاعتين ، لكل من الزوجين  
قاعة خاصة . وكان عدد المجانين عشرة يسكنون حجرات مقفلة  
بشايك الحديد وفي رقباهم السلاسل ، وكان بينهم نويان أحدهما  
فتى مسرور محتبس منذ ثلاث سنين والثاني عبد للألني بك ( أحد  
أمرأء الماليك ) احتبس منذ أربعة شهور ، ورجل سري يحترقه  
الجنون في كل شهر مرة وآخر معه زوجته الغ وكانت النساء  
عرايا أو أشبه بالعرايا وهذا البناء المتسع متصل بمسجد السلطان  
المنصور قلاوون . وقد أمر القائد العام الفرنسي رئيس الأطباء في  
الحملة بزيارة المارستان وتقديم تقرير عن حالته وعن الإصلاح  
اللازم له فتوجه إليه المسيو ديجانت Deganette مستصحباً معه الشيخ  
عبد الله الشرقاوي وهاك ما جاء في تقريره قال : توجهت اليوم  
إلى الشيخ عبد الله الشرقاوي فصحبني إلى المارستان وربما كنت

أول مسيحي وطئت قدمه أرض ذلك المكان . فعند ما دخلنا رأيت  
 مظاهر الاحترام التي جرت العادة أن تقدم لمثل هذا الشيخ ،  
 ولكن كان يشوبها الشعور بقلق ربما كان سببه وجودي بينهم  
 ثم فرش بساط جلس فوقه الشيخ ثم تكلم بكلام أدركت منه  
 أنه يلقي عليهم موضوع مهتم وأنه يأمرهم بمعاونتي على تأديتها .  
 فالمرستان مكان متسع رديء الموضع يسع في المتوسط مائة  
 مريض وفيه في الوقت الحاضر سبعة وعشرون مريضاً ، وأربعة  
 عشر مجنوناً سبعة رجال وسبع نسوة . وفي المرضى كثير من  
 العميان وأكثرهم مصاب بالسرطان وبعضهم أنهكته الأمراض  
 العضالة المتروكة من غير علاج ، وجميعهم من غير إسعاف سوى  
 توزيع الغذاء عليهم وهو من الخبز والأرز والعدس وهم لا يتصورون  
 أن في الإمكان تخفيف أوجاعهم ، وهم يتركهم هكذا تحت رحمة  
 الأقدار لم يعرفوا قط حتى أبسط الأدوية . ويقوم المجانين في  
 ناحيتين منعزلتين في إحداهما ثماني عشرة حجرة للرجال وفي  
 الأخرى ثماني عشرة للنساء . وقد رأيت الرجال مصابين بالبرد  
 والمالنخوليا وأكثرهم مسنن ورأيت فتى فقط كان في حالة هياج  
 فكان يزار كالأسد ثم انتقل فجأة إلى هدوء أحسبه ابتسام  
 ودهشة . وحجر النساء ليست كلها محاطة بشبايك الحديد

وكانت النسوة كلهن مصفدات ولكنهن غير مثبتات في الجدران كالرجال ، وإحدى هاته النسوة وهي طاعة في السن تقدمت نحوني حتى وسط الحوش وهي تبكي وتطلب إحسانا وكانت الأخيرات متحجبات حتى لم يمكن أن ألحظ شيئاً من ملامهن . ووقف الذين اصطحبوني في كل مكان على باب هذه الدائرة وكانت امرأتان تحرسان بابها الداخلي محجبتان على الدوام ومتجهتان بوجههما إلى الجدار أثناء زيارتي وكانت هناك فتاة صغيرة جميلة قاعدة القرفصاء ووجهها وجسمها يكادان يكونان عاريين فلما لفتني داخلا فرحت كثيراً وسلمت عليّ مراراً بجني رأسها ووضع يديها المغلولتين فوق صدرها وكانت تتكلم بنشاط ، ولكنني لم أفهم منها غير كلمة سينيور وكانت تعيدها مراراً ولكنها غريبة عن لسانها .

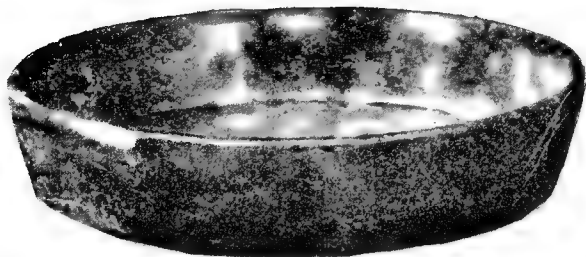
ولقد شككت في كونها مجنونة لأن ظلم الرجال كثيراً ما زجّ بالقلاء في هذه الحال المهزنة .

على أن شكوك الطبيب وهو الذكي القواد كان لها أساس من الصحة فقد علمنا بعد ذلك أن هذه الفتاة الشقية ألحظ قد أطلق سراحها ولكن الذين زجوا بها في هذا المكان لم ينلهم ضباب .



قلاوون ما ننقله هنا قال : إنه موجود في سوق النحاسين وهم  
 يشتغلون في قاصاته ، ولقد تخرب ولم يبق منه سوى تربة مؤسفة  
 يأتي إليها المرضى يزورون مخلفات السلطان بقصد الشفاء : فيمسون  
 عمامته لشفاء أوجاع الرأس ، وقفطانه للشفاء من الحيات المتقطعة  
 وتجتمع الشابات من النساء والأمهات ومعهن أولادهن فتطلب  
 الواحدة منهن في القبلة من الله أن يرزقها ولداً ذكراً لأهمية  
 الذكور عند الوطنيين فلا تكون المرأة سعيدة إذا لم ترزق ولداً  
 ذكراً . فتأتي النساء أمام القبلة فيزعن اللباس عن أنفسهن  
 ويفعلن وجوههن بأيديهن ويقفزن من ناحية من نواحي القبلة إلى  
 الناحية الأخرى بخطوة واحدة ويكررن القفز مراراً حتى يهنكن  
 التعب حتى لقد ترى بعضهن من التعب ممددة ومطروحة فوق  
 الأرض مغى عليها حتى تغرق من غشيتها وكان كثير من النسوة  
 يأتي بالأطفال الصغار حتى قبل أن تقوى على المشي أجسامهم  
 ويطلب فك عقدة ألسنتهم . وكانت النساء تأتي بالأطفال إلى  
 حجر أسود عريض بقرب الشباك الذي إلى اليمين وتصر ليمونة  
 خضراء فوق الحجر وتفرش العصابة فوق الحجر وتحكه بحجر  
 آخر صغير حتى إذا تلون حامض الليمون باللون الوردي الناشئ  
 من الحجر الأسود الحديدي ، تحمل الأطفال على لحسه فتألم





### الشكل - ١

طبق من العقيق وجد في بيارستان قلاوون

وفي سنة ١٨٥٦ كان البيارستان المنصوري قد بلغ الغاية من  
الاضمحلال وهجره المرضى ولم يبق به سوى المجانين، فنقلت منه المجانين<sup>(١)</sup>  
إلى ورشة الجوخ بيولاقي ولم يكن بهذا المحل الاستعداد اللازم لذلك  
وكانوا غير معتنى بهم فأنشئ مستشفى للمجاذيب في بعض السراي الحمراء  
التي أنشأها الخديوي إسماعيل باشا بالعباسية ثم أحرقت وكان نقل  
المجاذيب من ورشة الجوخ بيولاقي إلى العباسية سنة ١٨٨٠ م.

وقال بريس دافن الذي زار القاهرة في ذلك العصر ووصف  
البيارستان في كتابه إنه قد حصلت تغييرات عديدة في أبنيته في  
عصور مختلفة ولا سيما قد نقلت المجانين منه إلى غيره من الأماكن

---

(١) خط مصر لعل باشا مبارك ج ١ ص ٩٦

فقد نصرف المشرفون عليه بتأجير قناعاته للسكن فصار كأنه وكالة وصارت مراقبته مخازن لصناع النحاس وتجاره وقال : إن درس هذا المارستان الكبير له أهمية عظمى في تاريخ العمارة العربية حيث لم يبق الآن بناء مثله من عصره .<sup>١</sup>

وبعد أن انتقلت المجانين من بیمارستان قلاوون إلى ورشة الجوخ ببولاقي تحول حال بیمارستان ، فبعد أن كان خاصاً بالمجانين عاد إلى ما كان عليه في السابق من معالجة سائر الأمراض وكان يتولى العلاج فيه ويدبر شؤونه أطباء كيفما كانوا ، حتى تولى شؤونه الدكتور حسين عوف بك وكان من خيرة الأطباء المتعلمين فن الطب طبقاً للنظام العلمي الحديث . وكان الدكتور حسين عوف هذا طبيباً كحالاتاً فطناً ، فتولى علاج أمراض العيون فيه هو ثم ابنه الدكتور محمد عوف باشا مساعداً له أولاً ثم متولياً لشؤونه من بعده . ومن هنا أخذ بیمارستان يكون خاصاً بأمراض العيون إلى اليوم ومن عمل في هذا بیمارستان بعدهم الدكتور محمد بكير بك والدكتور محمد أمين بك . وفي سنة ١٨٩٥ عين الدكتور محمد سامح بك الطبيب الكحال مديراً لبیمارستان ورئيساً لأطبائه ثم أحيل إلى المعاش في يناير سنة ١٩١٢ ثم خلفه في رئاسة بیمارستان الدكتور محمد شاكر بك إلى شهر مارس سنة ١٩١٥ . وفي أبريل





شکل ۲- الباب الكبير لیپارستان فلادون





شكل - ٣ الفسقية والساميل



- رقم ٢٢ حوش ومجازات  
 « ٢٣ قاعة المرضى من الرجال بسرايرها  
 « ٢٤ « النساء بسرايرها  
 « ٢٥ « الناقين من الرجال  
 « ٢٦ « الناقات من النساء  
 « ٢٧ « الحراس والمرضى  
 « ٢٨ « سلم سكن الاطباء  
 « ٢٩ « المطبخ وملحقاته  
 « ٣٠ « قاعة لتسل الموتى  
 « ٣١ « مخازن مواد الحريق  
 « ٣٢ « محل الطبيب المدير  
 « ٣٣ « محل الجراحين  
 « ٣٤ « محل الكحال  
 « ٣٥ « مصل  
 « ٣٦ « حوش وابواب  
 « ٣٧ « بيوت الخلاء  
 « ٣٨ « خلاوي للمجانين من الرجال  
 « ٣٩ « خلاوي للمجانين من النساء  
 « ٤٠ « سلم لسطح البيرستان  
 « ٤١ « احواش  
 « ٤٢ «

شكل ٤ - تخطيط أساسات بيارستان فلاوون نقلاً عن بسكال كست





شكل • - قوس الأيوان الجنوبي  
« من كتاب هرير باشا »

٣ - الإيوان الغربي ولا سيما طرف هذا الإيوان حيث  
توجد زخارف مغطاة بطلاء حديث .

٤ - الإيوان الشمالي المطل على الحوش الوسطاني : لم يحتفظ  
بشكله الأصلي ولا يزال قوسه الكبير موجوداً ، ولكن سد  
جزء منه للمساعدة على تثبيت ثلاث أقواس بالبناء بالحجر  
المنحوت خلافاً للموجود في الإيوانات الأخرى التي هي مبنية  
جميعها بالطوب الأحمر . ولو أن اختلاف مادة البناء هذا دليل  
واضح على أن الإيوان الشمالي جدد بناؤه فإن القسم الغربي  
مع ذلك وجوب الرصاية بالاحتفاظ به .

٥ - القاعة الكبرى المربعة في جنوب المارستان المذكورة  
في تقرير عدد ٣٤١ والتي تشتمل على عمد من الرخام وأقواس  
عني بنشأها بعضها لبعض وقد كشفت حديثاً بناية كبيرة  
مهندمي اللجنة .

ويرى القسم الفني أنه يتعذر الاحتفاظ بهذه القاعة بسبب  
بعدا من مجموعة الأجزاء المهمة في هذا الأثر والتي سبق ذكرها ،  
إلا إذا ألحقت كما هي بالبناء الجديد للمستشفى ، وفي حالة  
تعذر إلحاق هذه القاعة بالبناء الجديد لنقل من مكانها الحالي  
وبعاد بناؤها في حوش جامع الحاكم .

### الكتابات الأثرية في اليسارستان المنصوري

فوق الباب المعد للدخول إلى المدرسة والقبّة والمارستان  
الكتابة الآتية :

١ - أمر بإنشاء هذه القبّة الشريفة المعظمة والمدرسة المباركة  
والبجارستان المبارك ، ولانا السلطان الأعظم الملك المنصور سيف  
الدنيا والدين قلاوون الصالحى . وكان ابتداء عمارة ذلك في ربيع  
الآخر سنة ثلاث وثمانين وستمائة والفراغ منه في جمادى الآخرة  
سنة أربع وثمانين وستمائة .

وعلى فخذي باب الدخول أسفل البوابة الكبرى ، لوحان  
من الرخام ملصقان على ارتفاع مترين من الأرض على يمين الباب  
ويساره ، سعة كل منهما ٧٠ في ٧٠ سنتيمتراً ومنقوش عليهما  
الكتابة الآتية المركبة من سبعة سطور بالخط النسخي الملوّك  
والحرف الدقيق وهي كثيرة النقط قليلة الحروف اللينة وصورتهما  
واحدة إلا اختلافاً قليلاً وهذا نصها :<sup>(١)</sup>

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله ، لما كان بتاريخ  
يوم الاثنين سابع عشر ذي الحجة سنة ٧٩١ في نظر المقر السيفي

---

(١) Max van Berchem : matériaux pour un  
corpus inscriptionum arabicorum tome XIX fascicule  
II Egypte 1896 P. 128 et 184



شكل ٦ - الأيوان القبلي من بنارسستان قلاوون  
« قلا عن ماكس هرز »

فان حجر، عز نصره ، برز الرنوم الشريف السلطاني الملكي المنصوري الصالحى خلد الله ملكه ، أن ينعم على مستحق ريع وقف البيارستان المنصوري ما يخص بيت المال السلطاني من إرث من يتوفى من أرباب وظائفه ومباشره وسكان أوقافه نعمة مستمرة على الدوام والاستمرار ، لا يتغير حكمها ولا يندرس رسمها ولعنة الله على من يسعى في تبديله أو إبطاله فن بدله بعد ما سمعه فأنا إثمه على الذين يدلونه .

صورة الورعين : في لوم ٦ عدد ٩٢ من الكتاب رقم

الأعيان التي كانت موقوفة على البيارستان المنصوري  
الأعيان التي كانت محبوسة على المارستان المنصوري كثيرة وقد تغيرت معاملها وباد الكثير منها بطول الزمن وتغير الدول وكثرة القلاقل والفن ولم يبق منها إلى اليوم إلا القليل جداً بحيث لا يمكنني للقيام بالصرف على المارستان كشروط واقفه .  
وسنذكر تلك الأعيان التي كانت موقوفة ومكان وجودها ، نقلاً عن مؤرخي ذلك العصر للدلالة على ما كان عليه المارستان من الشهرة والعظمة . ولقد يأتي الكثير من ذلك أيضاً عند ما نقل القسم الخيري من الوقفية الأصلية .  
فن الأوقاف بمدينة الفسطاط :











زوج أخت البدر الدميري ورفيقه في مشاركة البيارستان مات في  
شوال سنة ٨٤٦ هـ

٩ - في يوم الاثنين ثاني شهر ربيع الآخر سنة ٨٥٠ استقر  
المولوي السفطي<sup>(١)</sup> في نظر البيارستان المنصوري بعد عزل المهبي  
ابن الأشقر ولبس الخلعة لذلك ، وفي يوم الخميس خامس ربيع  
الآخر انتقض الأمر وألبس المهبي خلعة الاستمرار في اليوم  
المذكور .

١٠ - في يوم الأربعاء سلخ شهر ذي الحجة ٨٥١ هـ طلع  
القاضي الشافعي<sup>(٢)</sup> إلى السلطان بأربعة عشر ألف دينار من  
حاصل البيارستان ، فعرضها عليه فشكره على ذلك ، وغفل عن  
كونه لم يعمل فيه بمراد الواقف بل حَجَرَ في تنزيل المرضى  
وغيره وأمر بمسح دهاليزه وكنسه وعدم التمكين من المشي فيه  
بالتعال حتى أنشدني الشيخ أبو عبد الله الراعي لنفسه :

مرستانكم يشكو الحلاء وما به من الكنس والمسح الذي ليس ينفع  
وناظره إذ جاري حكمه له فيمنعه المرضى ومع ذا يجمع  
بتمبيره ققرأ مضيعا فياله خلياً من المرضى ولكن مفرقع

(١) التبر المسبوك ص ١٤٤

(٢) التبر المسبوك ص ١٨٧



وحجر في كل ما أشرت إليه غاية التحجير فاجتمع في الوقف بسبب هذا كله من الأموال ما يفوق الوصف وفيه نوع شبه بما ملكه الشمس محمد بن أحمد بن عبد الملك الميري في المارستان أيضاً وإن لم يبلغ حد صاحب الترجمة ولا كاد وقد تعرض لصنيعه في ذلك أبو عبدالله الراعي في نظمته كما سيأتي

١٣ - في شهر صفر من سنة ٩٠١ هـ خلع الأتابكي تمتاز<sup>(١)</sup> وقرر في نظر البيمارستان المنصوري ، فتوجه إلى هناك في موكب حافل وسلطان العصر في ذلك الوقت الملك الأشرف أبو النصر قايتباي الممودي الظاهري .

١٤ - في شوال سنة ٩٠٨ هـ خلع على معين الدين شمس<sup>(٢)</sup> وقرر في وكالة بيت المال ونظر البيمارستان المنصوري فعظم أمره جداً .

١٥ - في سنة ٩٢٣ هـ في حكم السلطان سليم المعروف بابن عثمان<sup>(٣)</sup> خلع المقر السيفي ملك الأمراء خاير بك بن بلباس نائب السلطنة بالديار المصرية علي الزيني بركات بن موسى وقرر-

---

(١) بدائع الزهور في وقائع الدهور لابن إياس ج ٢ ص ٢٩٢

(٢) بدائع الزهور لابن إياس ج ٤ ص ٥٠

(٣) بدائع الزهور ج ٣ ص ١٣٥



من أوثق المصادر التي يستعان بها في تحقيق أحوال ذلك الزمان. الذي وضعت فيه ، ومعرفة ما بلغته مصر فيه من الرقي والمدنية . وقد كانت هذه الوقفية في حكم الشيء المفقود فإن المؤرخ عبد الرحمن حسن الجبرتي المعوفى سنة ١٢٤٠ هـ ١٨٢٥ م قد ذكر ضمن حوادث كتابه : أن وقفية السلطان قلاوون قد احترقت في داخل خزانة كتب البهارستان ، وأن الأمير عبد الرحمن كئودا عندما أراد تجديد البهارستان في سنة ١١٩٠ هـ وحبس بعض الأموال عليه لم يجد كتاب وقفه .

ومن حسن الاتفاق أنه في المدة التي تولى فيها المرحوم إبراهيم باشا نجيب إدارة ديوان الاوقاف ( من ديسمبر سنة ١٩١٢ إلى ١٥ نوفمبر سنة ١٩١٣ ) عثر في محفوظات الديوان على وقفية السلطان قلاوون ، وطلب الديوان من العلامة المرحوم أحمد زكي باشا قراءة الوقفية ، فانتهاز الفرصة واستنسخ لنفسه منها نسخة للخزانة الزكية ، ولم يسبق لأحد ما قبل ذلك رؤية هذه الوقفية أو معرفة ما فيها . وقد تفضل الأستاذ المرحوم أحمد زكي باشا فأعارنيها ضمن ما أعارني من نفائس خزائنه .

وهذه الوقفية هي أربع وقفيات معاً الثلاث الأوليات منها تمت في عهد قلاوون نفسه في ثلاث سنين متتالية وهي سنوات ٦٨٤ و٦٨٥ و٦٨٥

٦٨٦ هـ ، والرابعة عملت في عهد الأمير عبد الرحمن كنفخدا من  
أمرائى الماليك الذين حكموا مصر في العهد العثماني وذلك في سنة  
١١٩٠ هـ وذلك طبقاً لما ذكر في وقفية الأمير كنفخدا فقد جاء

فيها في السطر ٩٩ ما يلي : « .....  
التي من جملة كتب الأوقاف المذكورة الثلاثة كتب الرق الغزال  
المصنعة المؤرخ أحدم (كذا) في ١٣ من شهر ذي الحجة الحرام  
ختم سنة ٦٨٤ هـ والثاني مؤرخ في ١٢ شهر صفر الخير ، والضم  
والإلحاق الشرعي الملحق بذيله المؤرخ في حادي عشر شهر صفر  
المذكور كلاهما سنة ٦٨٥ هـ والثالث مؤرخ في ٢٤ شهر رجب  
الفرد الحرام سنة ٦٨٦ هـ ما دلت عليه كتب الأوقاف المذكورة  
على الحكم المعين والمشروح بأعاليه »

وسنأتي على ديباجة الوقفية ثم على الشروط الخاصة بالبيمارستان  
وحده دون الخاص منها بالتربة أو المدرسة أو القبة أو المسجد ثم نتبع  
ذلك بذكر وقفية الأمير كنفخدا لما احتوت عليه من الأمور  
العظيمة الهامة للإنسانية .















































































الجامع المؤيدي المجاور لباب زويلة ، فلما مات المؤيد في ثامن  
الحرم سنة ٨٢٤ تعطل ثم سكنه طائفة من العجم المستعبدين في  
ربيع الأول منها . وصار منزلاً للرسل الواردين من البلاد إلى  
السلطان ثم عمل فيه منبر ورتب له خطيب وإمام ومؤذن وبواب  
وقوم وأقيمت به الجمعة في شهر ربيع الآخر سنة ٩٢٥ فاستمر  
جامعاً نصرف معالم أرباب وظائفه المذكورين من وقف الجامع  
المؤيدي .»

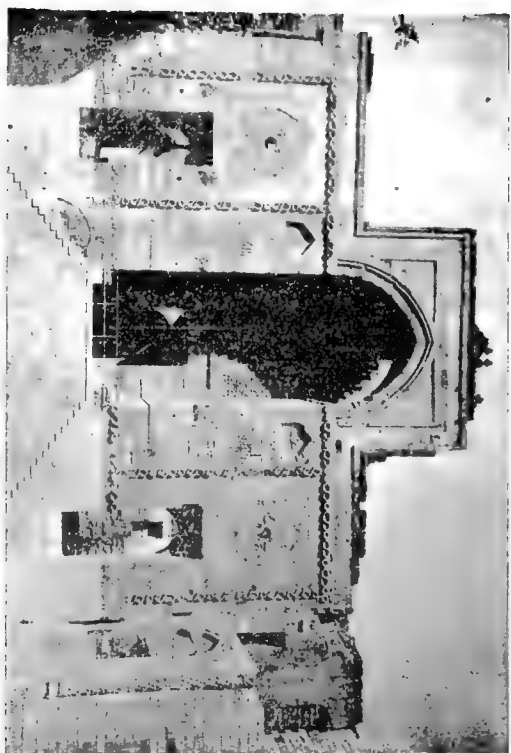
وقد ذكر تقي الدين القريزي هذا المارستان في كتاب  
آخر من كتبه <sup>(١)</sup> بالنص الآتي : في شهر ربيع الآخر سنة  
٨٢٥ هـ في سلطنة السلطان الملك الأشرف سيف الدين أبو النصر  
برسبای الدقاق الظاهري الجركسي عمل المارستان المؤيدي الذي  
بالصورة تحت القلعة جامعاً تقام فيه الجمعة والجماعة ، وكان المؤيد  
قد جعل هذا الموضع مارستاناً ونزل به المرضى . فلما مات لم  
يوجد في كتاب الوقف المؤيدي له جهة مصرف فأخرجت  
المرضى منه وأغلقت وصار منزلاً للرسل الواردين من ملوك الشرق  
فبقي حانة خمار يرسم شرب المسكرات وضرب التناير وعمل  
الفواحش ومع ذلك تربط به الخيول فكان هذا منذ مات

---

(١) السلوك في معرفة دول الملوك ج ٤ ص ٤١٦ مخطوط







شكل ٧ - الواجهة والباب للدارستان المزدني

فالأرشد من ذريته المذكور خاصة لكن بالاشتراك مع من  
 يكون داوداراً كبيراً ومع كاتب السر مجتمعين غير منفردين ،  
 فإن تعذر لذريته كان النظر للداودار وكاتب السر معاً ويصرف  
 لكل منهما خمسمائة نصف شهرياً وإن تعذر فلحاكم المسلمين  
 بالديار المصرية .

وتاريخ الحجة رابع جمادى الآخرة سنة ٨٢٣ هـ (١٤٢٠ م)













































صاحب ديار بكر في أيام الخليفة القائم بأمر الله (تولى الخلافة سنة ٤٢٢ هـ) لما كان ببيافارقين مرضت ابنة له وكان يرثي لها كثيراً، فألَى على نفسه أنها متى برئت أن يتصدق بوزنها دراهم فلما حالها زاهد العلماء وصلحت، أشار على نصير الدولة أن يعجل جملة هذه الدراهم التي يتصدق بها تكون في بناء بيارستان ينفع به الناس ويكون له بذلك أجر عظيم وسمعة حسنة . قال : فأمر ببناء المارستان وأنفق عليه أموالاً كثيرة ووقف له أملاً كما تقوم بكفايته وجعل فيه من الآلات وجميع ما يحتاج إليه شيئاً كثيراً جداً، فجاء لامزيد عليه في الجودة وكان مقرراً في هذا البيارستان مجلس للعلم يجيب فيه زاهد العلماء على المسائل والجوابات .

#### ١٤ — بيارستان باب مُحَوَّل

ذكر العيني<sup>(١)</sup> في حوادث سنة ٤٤٩ هـ أنه كان مارستان في باب مُحَوَّل ولكنه دثر فلا عين ولا أثر، وباب محول محلة كبيرة كانت منفردة بجانب الكرخ يغداد وكانت متصلة بالكرخ أولاً .

---

(١) كتاب عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان حوادث سنة ٤٤٩ هـ .





في اليبارستان الذي بها وصنف مقالة حسنة في مزاج الرقة وأحوال  
أهويتها وما يظلب عليها وأقام بها سنين .

## ١٨ — يمارستان نصيبين

قال ابن بطوطة الرحالة المغربي <sup>(١)</sup> زرنا مدينة نصيبين حوالي  
سنة ٧٢٠ هـ وهي مدينة عتيقة متوسطة قد خرب أكثرها وهي بسيط  
أفيح . فيه المياه الجارية والبساتين الملتفة والأشجار المنتظمة والفواكه  
الكثيرة وبها يصنع ماء الورد الذي لانظير له في العطرة والطيب  
ويدور بها نهر يعطف عليها انعطاف السوار ، منبعه من عيون في  
جبل قريب منها ، وينقسم انقساماً فيتخلل بساتينها . ويدخل منه  
نهر إلى المدينة فيجري في شوارعها ودونها ويخترق صحن مسجدها  
الأعظم وينصب في صهيحين أحدهما وسط الصحن والآخر عند  
الباب الشرقي وبهذه المدينة مارستان ومدرستان وأهلها أهل  
صلاح ودين .

٢٢٢

---

(١) تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ج ٢ ص ١٤٠



























شكل ٩ - وجه الپارستان النوري بدمشق  
ويرى أعلاه قبة المدخل رعت حديثاً على الشكل الذي كانت عليه في القديم















٢٢ - جمال الدين بهر عبد الله : بن عبد السيد <sup>(١)</sup> أسلم مع والده الذبان وكان من أطباء المارستان النوري بدمشق توفي سنة ٥٧٣٥ هـ ودفن في قبر أعدده لنفسه .

٢٣ - عبد الله بهر بهر <sup>(٢)</sup> بن إبراهيم بن محمد بن عبد الحق رئيس الجراحية جمال الدين ابن رئيس الأطباء شمس الدين القاهري ويعرف بابن عبد الحق : ولد قبل القرن ودخل في سفره مع أبيه الشام في خدمة الناصر فرج ، وتميز في صناعة الطب وباشر رئاسة الجراحية وقتاً وتقدم في أيام الأشرف إبنال ولم ينفك عن ملازمة البيمارستان كل يوم مات في ريسم الأول سنة ٥٨٩١ هـ ودفن بتربة ابن جماعة بالقرب من الصوفية .

---

(١) تاريخ الاسلام لابن الوردي ج ٢ ص ٣١٠

(٢) الضوء اللامع للسخاوي







































































































### ٣ — مارستان قوتلوغ توركان بايران

ماتر قوتلوغ توركان<sup>(١)</sup> خاتون بن ملكات قره خطايمه الحاكمة بايران جديرة بأن تذكر في ساحة الفتوة والكرم ، وهذه الملكة جلست على كرسي السلطنة بعد السلطان قطب الدين بايران سنة ٦٧٠ هـ ونيرتها مضبوطة في تاريخ آل سلجوق بمكتبة أيا صوفيا (رقم ٣٠١٩ ورقة ٨٨ و ٨٩) ، يذكر فيها أنها وقفت تلك الآثار مدرسة وسائر بقاع خيراز رباطات ومساجد ودار شفاء وقناطر وختافاهات وسائر أبواب الخير .

### ٤ — بيارستان أماصيه

أنشأت إيلدوزمن خاتون زوجة السلطان أوجلايتو دار الشفاء محتشمة بأماصيا سنة ٧٠٨ هـ و (١٣٠٨ م) ولا تزال موجودا :

### ٥ — بيارستان ديه ركي

أنشأت توران خاتون زوجة أحمد شاه الزاشمندي دار الشفاء بمدينة ديوركي في سنة ٦١٤ هـ (١٢٢٨ م) ولا تزال موجودة .

---

(١) ذيل على فصل الأخية النيران التركية تأليف م . جودت طبع

استنبول سنة ١٣٥٠ هـ (١٩٣٢ م)

## ٦ - بیمارستان محمد الفاتح

في سنة ١٤٧٠ م أنشأ السلطان محمد الفاتح مارستانا بقسطنطينية  
ومن الأطباء الذين عملوا فيه :

١ - المولى محمود بن الكمال <sup>(١)</sup> الملقب بأخي جان المشتهر  
بأخي جلبي ، كان أبوه في بلدة تبريز ثم أتى إلى بلاد الروم  
ونزل قسطنطينية وعال فيها الطب وتعين طبيباً لدار السلطنة  
ورئيساً للأطباء في المارستان الذي بناه السلطان محمد خان بمدينة  
القسطنطينية وتوفي سنة ٩٠٣ هـ

## ٧ - بیمارستان السلطان سليمان

السلطان سليمان <sup>(٢)</sup> ابن السلطان سليم خان عاشر سلاطين آل  
عثمان والمتوفى في ٢٢ صفر سنة ٩٧٤ هـ بنى بالقسطنطينية بیمارستاناً  
لداواة المرضى وحرية المجانين بأنواع الأشربة والأطعمة والمعالجين .

## ٨ - بیمارستان أدرنة

أنشأ هذا المارستان أحد سلاطين آل عثمان ولم أتضح من هو  
ويغلب أن يكون إنشاءه قبل عهد السلطان سليم ولعل السلطان

---

(١) الشافق النعمانية ج ٢ ص ٢٤ والسنا الباهر للشبلي

(٢) المقدم المنظوم في ذكر أفاضل الروم ج ٢ ص ٢٩٤

بأيزيد الثاني هو الذي أنشأه ، ويفهم ذلك من ترجمة أحد الأطباء الذين عملوا في هذا المارستان وهو :

١ - الحكيم شهاب الدين يوسف<sup>(١)</sup> قرأ في أول عمره على علماء عصره ثم رغب في الطب وقرأ على الحكيم محي الدين ثم نصب طبيباً في مارستان أدرنة ومارستان قسطنطينية ثم جعل طبيباً للسلطان سليم خان وهو أمير على بلده طرابوزان ولما جلس السلطان سليم خان على سرير المملكة جعله طبيباً لدار السلطنة ثم جعله رئيساً للأطباء ودام على ذلك إلى أن توفي في سنة ٩٥١ هـ وكانت سنة مائة سنة أو أكثر وكان رحمه الله عالماً صالحاً عابداً سليم الطبع حلیم النفس معرضاً عن أحوال الدنيا .

#### ٩ - بیمارستانات أخرى

ببلاد الروم (الأناضول)

وقد أنشئت في بلاد الروم بیمارستانات أخرى لم نقف على تاريخها بالشرح الكافي ونكتفي بذكر أسمائها وتواريخها وقد ذكرها الدكتور أحمد سبيل في مؤتمر تاريخ الطب ببوخارست :

١ - بیمارستان قصطاموني أو بیمارستان علي قرطانه أنشئ سنة ١٢٧٢ م

ب - بیمارستان علاء الدين قيقباد بقونية أنشئ سنة ١٢١٩ م

---

(١) الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية والسنا الباهر للشبلي .

- ج - دار الطب يبروسه أنشئت سنة ١٣٣٩ م  
 د - بیمارستان للجذام بأدرنة أنشئ سنة ١٤٣١ م  
 هـ - بیمارستان بايزيد الثاني بأدرنة أنشئ سنة ١٤٨٥ م ولعله  
 بیمارستان السابق ذكره .

- و - بیمارستان خاصكى سلطان باستنبول أنشئ سنة ١٥٣٩ م  
 ز - بیمارستان والده سلطان بمغنيديه أنشئ سنة ١٥٥٤ م  
 ح - بیمارستان السلطان أحمد باستنبول أنشئ سنة ١٦١٦ م



## بیمارستانات المغرب

### ١ - بیمارستان تونس

في تونس مارستان <sup>(١)</sup> بالقرب من سيدي محرز لا يزال موجوداً ولكنه قد تغيرت مماله . ويرجع تاريخه إلى القرن الثالث عشر الميلادي . وذكر الفقيه العلامة الشيخ أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللؤلؤي المعروف بالزركشي <sup>(٢)</sup> : أن أمير المؤمنين أبا فارس عبد العزيز بن السلطان أبي العباس ، أحمد بن أبي عبد الله محمد بن السلطان أبي يحيى بن أبي بكر أحمد ملوك الدولة الحفصية تولى تونس بعد وفاة والده الخليفة السلطان أبي العباس أحمد في يوم الأربعاء ثالث شعبان سنة ٧٩٦ فأخذ بالحزم في أموره وجعل في كل خطة من يصلح بها فاستقامت الأمور جونس في أيامه كلها أحسن استقامة وأحدث في أيامه جونس حسنات دائمة فمنها . . . . . ومنها إقامة الخزانة بجوفي جامع الزيتونة وجلس ما فيها وفي غيرها من الكتب في العلوم الشرعية والعربية واللغة والطب والحساب

(١) *Manuel d'Art musulman*, par H. saladin P. 200

(٢) تاريخ الدولتين الموحدة والحفصية ص ٩٩ - ١٠٠ - ١٠٢

طبع تونس سنة ١٢٨٩

والتاريخ والأدبيات وغير ذلك ومنها إحداث المارستان بتونس  
للضعفاء والغرباء وذوي العاهات من المسلمين وأوقف على ذلك  
أوقافاً كثيرة تقوم به

ومن الأطباء الذين عملوا ببيمارستان تونس :

١ - محمد الشريف الحسني الزكراوي : <sup>(١)</sup> نسبة إلى جده أبو  
زكريا القاسمي أنزيل تونس وبها توفي سنة ٨٧٤ هـ وقد جاوز  
الخمسين ، وكان أديباً طبيباً لبيباً ، ولي البيمارستان بتونس وأقرأ  
العقليات مع مشاركة في الفقه واعتناء بالتاريخ .

## ٢ - بيمارستان مراکش

أو بيمارستان أمير المؤمنين المنصور أبي يوسف  
قال عبد الواحد المراكشي <sup>(٢)</sup> في سياق كلامه عن أبي يوسف  
يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي بن علوي الكوي من  
ملوك الموحدين بالمغرب : وبني بمدينة مراکش بيمارستاناً ما أظن  
أن في الدنيا مثله وذلك أنه تخير ساحة فسيحة بأعدل موضع في  
البلد ، وأمر البنائين بإتقانه . على أحسن الوجوه وأتقنوا فيه من  
التقوش البديعة والزخارف المحكمة ما زاد على الاقتراح ، وأمر أن

---

(١) الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع لابن حجر العسقلاني

(٢) المعجب في تلخيص أخبار المغرب

يغرس فيه مع ذلك من جميع الأشجار والمشومات والمأكولات  
وأجرى فيه مياه كثيرة تدور على جميع البيوت ، زيادة على أربع  
برك في وسط إحداها رخام أبيض ، ثم أمر له من الفرش النفيسة  
من أنواع الصوف والكثان والحري والأديم وغيره بما يزيد عن  
الوصف ويأتي فوق النمت ، وأجرى له ثلاثين ديناراً في كل يوم  
برسم الطعام وما ينفق عليه خاصة خارجاً عما جلب إليه من  
الأدوية ، وأقام فيه من الصيادلة لعمل الأشربة والأدهان والأحمال  
وأعد فيه للمرضى ثياب ليل ونهار للنوم من جهاز الصيف والشتاء  
فإذا نقه المريض فإن كان فقيراً أمر له عند خروجه بمال يعيش  
به ريثما يستقل ، وإن كان غنياً دفع إليه ماله وتركته وسببه ،  
ولم يقصره على الفقراء دون الأغنياء ، بل كل من مرض بمراكش  
من غريب حمل إليه وعولج إلا أن يستريح أو يموت . وكان في  
كل جمعة بعد صلاته يركب ويدخله يعود المرضى ويسأل عن  
أهل بيت أهل بيت ويقول : كيف حالكم ؟ وكيف القومة  
عليكم ؟ إلى غير ذلك من السؤال ثم يخرج ، لم يزل مسعراً على  
هذا إلى أن مات رحمه الله في شهر صفر سنة ٥٩٥ هـ وله من العمر  
٤٨ سنة ومدة ولايته ١٦ سنة وثمانية شهور .

### الاطباء الذين خدموا في هذا المارستان

١ - ابراهيم بن ابراهيم الداني : كانت له عناية بالغة بصناعة الطب وأصله من بيجاية ونقل إلى الحضرة ، وكان أمين البيمارستان وطيبه بالحضرة وكذلك ولده ، وتوفي الداني في مراکش دولة المستنصر بن الناصر <sup>(١)</sup> .

٢ - محمد بن قاسم <sup>(٢)</sup> بن أبي بكر القرشي المالقي نزيل غرناطة قال ابن الخطيب كان بارع الكتابة والنظم حسن النادرة طارفاً بالطب ، ولي النظر على البيمارستان بفاس ومات وسط سنة ٧٥٧ هـ وله ٥٤ سنة .

### ٣ - بيمارستان سلا

لما قدم أبو العباس أحمد بن محمد بن عمر بن عاشر الأنصاري الأندلسي من بلاد الأندلس جعل إقامته بسلا ، وذلك في النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادي بعد أن تنقل في بلاد المغرب مثل فاس ومكناسة وشالة ، وأخذ ابن عاشر يعالج المرضى واشتهر اسمه بسيدية ابن عاشر الطبيب ، وأنشئ بالقرب من قبره مارستان وتوفي ابن عاشر سنة ٧٦٤ هـ سنة ٧٦٥

---

(١) حيون الأبناء في طبقات الأطباء ج ٢ ص ٧٩

(٢) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني



شکل ۲۰ - پیارستان سیدی ابن عاشق بسلا

ودفن في التربة المسماة باسمه وقبته من أكبر القباب في كل من  
سلا ورباط وفي سنة ١٢٤٧ هـ (١٨٤٦ م) جدد<sup>(١)</sup> السلطان  
مولاي عبد الرحمن بناء هذا المارستان .

وسلا مدينة بالمغرب الأقصى على ساحل المحيط الأطلسي  
وقد اختارها ابن الخطيب<sup>(٢)</sup> مقاماً له وقد وصفها في مقاماته بقوله  
« العقيلة المفضلة والبطيحة المخضلة والقاعدة المؤصلة والسورة المفصلة  
ذات الوسامة والنظارة والجامعة بين البداوة والحضارة معدن القطن  
والكتان والمدرسة والمارستان .

#### ٤ — بيمارستان سيدي فرج بفاس

جاء في كتاب سلوة الأنفس<sup>(٣)</sup> : أنه بالقرب من سوق  
العطارين وسوق الحنّاء بفاس ، مكان يقيم به المرضى الذين يعقولهم  
مرض ، وهم المجانين ويسمى ذلك المكان سيدي فرج على أنه لم  
يدفن به أي شخص كان يسمى بهذا الاسم ، وليس به قبر ، وإنما  
بنى هذا المكان أحد السلاطين ليضم مرضى المسلمين الذين لا ملجأ

(١) أخبرني بذلك السيّد رينو Renaud مدير المعهد الفرنسي للتاريخ

والعلوم براكش

(٢) الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى ج ٢ ص ١١٣ طبع مصر

(٣) سلوة الأنفس ج ٢ ص ٢٧٦



شکل ۲۱ - پیارستان سیدی فرج بغاس

لهم أو مأوي يأوون إليه ، وسي باب الفرج لأن المرضى كانوا  
يحدون فيه ما يفرج كربهم وقد حبست عليه الحبوس التي كانت  
تصرف غلتها عليه <sup>(١)</sup> .

وقد جلا الدكتور دومازل Dr Du Mazel <sup>(٢)</sup> وصف هذا  
البيارستان فقال : بناؤه قديم يرجع تأسيسه إلى عهد سلاطين بني  
مرين وهم في أوج عزهم وعظمتهم يعاونون على نشر العلوم وتجميل  
المدن . وبني أحدهم وهو أبو يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق  
هذا المارستان لما تولى الملك سنة ٦٨٥ هـ (١٢٨٦ م) وعهد مؤسسه  
إدارته إلى أشهر الأطباء وأوقف عليه الحبوس الكثيرة من  
العقار للصرف عليه وحفظه ولما عظم أمر البيارستان واتسعت أعماله  
أدخل عليه السلطان أبو عنان الذي تولى الملك ٧٦٦ هـ زيادات عظيمة .  
وفي سنة ٩٠٠ هـ اتخذ أهل الأندلس من المسلمين إقامتهم  
في فاس ، فتولى رياسته طبيب من بني الأحمر يسمى فرج

---

(1) Michaux - Bellaire : description de la ville  
de Fez . Paris 1907 .

(2) Publications du service de la santé et de  
l'hygiène publique, éditées à l'occasion de l'exposition  
calomile de marseille on 1922 par Dr Du Mazel .

الخزرجي ولذلك سمي بيارستان فرج ، فأصلح فيه وجعل الموسيقاريين  
يلحنون أمام المرضى . وليس في مدخل البيارستان شيء يستوقف  
النظار وهو في سوق الحنّا ويحيط به جدار أبيض وعليه باب عال  
مفعل بالحديد شأنه كسائر أبواب المدينة مقفل على الدوام ولا  
يفتح إلا قليلاً .



## بیمارستانات الاندلس

### ١ - بیمارستان غرناطة

قال الوزیر لسان الدین بن الخطیب <sup>(١)</sup> فی کلامه عن امیر المسلمین بالاندلس محمد بن یوسف بن اسماعیل بن فرج بن اسماعیل بن فرج بن یوسف بن نصر ، الذی تولى الملك بعد وفاة أبيه فی عام ٧٥٥ هـ : ومن مواقف الصدقة والإحسان من خارق جهاد النفس بناء بیمارستان الأعظم ، حسنة هذه التحوم القصوى ، وضربة المدیة الفضلی ، لم یبتدإ إلیه غیره من الفتح الأول مع تقرير الضرورة وظهور الحاجة ، فأغرى به همه الدین ونفس التقوى فأبرزه موقف الأحداق ورحلة <sup>(٢)</sup> الاندلس ومدرك الحسنات فخامة بیت وتعدد مساكن ورحب ساحة ودرور میاء وصحة هواء وتقد خزائن ومتوضآت وانطلاق خیرات وحسن ترتیب ، أبر علی مارستان مصر بالساحة العریضة والأهویة الطیبة ، وتدفق المیاء من فورات الرمل وسود الصخر ، وقرج البحر وانسدال الأشجار وقال سلا دین <sup>(٣)</sup> : إن هذا الأثر

(١) الإحاطة فی أخبار غرناطة ج ٢ ص ٢٩

(٢) کذا ولعلها « حلة الاندلس »

(٣) Saladin : manuel d'art musulman P 200 (٧)

المربع الزوايا لا يبلغ من الاتساع والإحكام في البناء مبلغ  
مارستان فلاوون بالقاهرة ، ولكنه كان مرتباً في بساطته  
أنيقاً في تفاصيله ؛ وكانت قاعاته البسيطة تدور حول باحة داخلية  
في وسطها حوض عميق لقبول الماء من عينين كل عين منها عبارة  
عن أسدجاث . ولما انتزعت غرناطة من يد العرب سنة ١٤٩٢ م  
حول هذا البناء الصغير إلى دار ضرب السكة ثم أدخلت عليه  
تغييرات مختلفة شوهت معالمه ثم تهدم معظمه .

وذكر مارسيه <sup>(١)</sup> كذلك : أن مارستان غرناطة حول إلى  
دار ضرب بعد سقوط غرناطة وحدثت فيه تغييرات مرات  
عديدة وتهدم ثلاثة أرباعه ، ولكنه في مظهره أبسط من  
معاصره يمارستان فلاوون ففي وجهته بعض التوافذ وفيها  
أقواس مزدوجة وفي الوسط باب وأسكفة يعلوهما كتابة  
تشبه أشعة الفلك ، ويدخل من الباب إلى ردهة مربعة  
الزوايا مستطيلة وفي وسطها حوض فيه أسدان جائيان يشبهان  
مثليهما في قصر الحمراء وينبع منها الماء ، وحول الردهة أربعة  
أروقة يفتح فيها أبواب طويلة ذات انحناء على شكل نعل الفرس  
وفي الزوايا سلاليم يدخل منها إلى الطابق الأول .

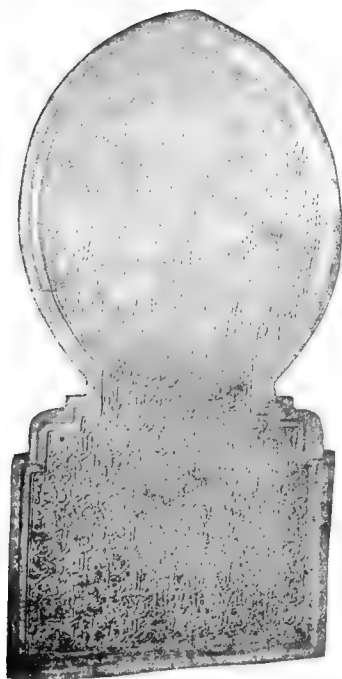
(١) Y. Marçais : manuel d'art musulman P. 559

ونقل ليفي بروفنسال<sup>(١)</sup> نص ذكرى بناء السلطان محمد الخامس  
 للبيهارستان سنة ٧٦٧ - ٧٦٨ هـ وهو لوح من الرخام على شكل  
 الباب مقنطر مركب من قطعتين ملتصقتين التصاقاً تاماً محفوظ منذ  
 سنة ١٨٥٠ م في جناح من بستان قصر الحمراء ، نقل إليه من أحد  
 بيوت غرناطة ، وعلى أحد وجهي هذا اللوح كتابة في غاية الحفظ  
 تملأ هذا الوجه وهي مكونة من ٢٦ سطراً بالخط العادي الأندلسي  
 (شكل ٢٢) وهذه الكتابة :

تخليد ذكرى مارستان بناء السلطان محمد الخامس من بني نصر  
 الغني بالله خاصاً بمرضى غرناطة الوطنيين  
 وهذا هو النص :

الحمد لله أمر ببناء هذا المارستان رحمة واسعة لضعفاء مرضي  
 المسلمين ، وقربة نافعة إن شاء الله رب العالمين ، وخلد حسنة ناطقة  
 باللسان المبين ، وأجرى صدقة على مرّ الأعوام وتوالي السنين إلى  
 أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين ، المولى الإمام  
 السلطان المهام الكبير الشهير الطاهر الظاهر أسعد قومه دولة وأعضاهم  
 في سبيل الله صولة صاحب الفتوح والصنع المنوح ، والصدر  
 الشروح ، المؤيد بالملائكة والروح ناصر السنة ، كهف الملة

(1) Inscription arabe d'Espagne par Levy Provençal  
 P. 164. 1931 . . . . .



شکل ۲۲ - ذکرى إنشاء بهارستان غرناطة

أمير المسلمين الغني بالله أبو عبد الله محمد بن المولى الكبير  
 الشهير السلطان الجليل الرفيع المجاهد العادل الحافل السعيد الشهير  
 المقدس أمير المسلمين أبي الحجاج ابن المولى السلطان الجليل  
 الشهير المعظم المنصور هازم المشركين وقامع الكفرة المعتدين  
 السعيد الشهيد الوليد بن نصر الأنصاري الخزرجي ، أنجح الله في  
 مرضاته أعماله ، وبلغه من فضله العميم وثوابه الجسيم آماله ،  
 فاخترع به حسنة لم يسبق إليها من لدن دخل الإسلام هذه  
 البلاد ، وأختص بها طراز فخر على عائق حلة الجهاد . وقد أراد  
 وجه الله بابتغاء الأجر والله ذو الفضل العظيم ، وقدم نوراً  
 يسمى بين يديه ومن خلفه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى  
 الله بقلب سليم . فكان ابتداء بنائه في العشر الوسط من شهر  
 المحرم من عام سبع وستين وسبعمائة ٧٦٧ هـ وتم ما قصد إليه  
 ووقف الأوقاف عليه في العشر الوسط من شوال من عام ثمانية  
 وستين وسبعمائة ٧٦٨ والله لا يضيع أجر العاملين ولا ينجيب  
 سعي المحسنين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وآله وأصحابه  
 أجمعين .

تم الكتاب

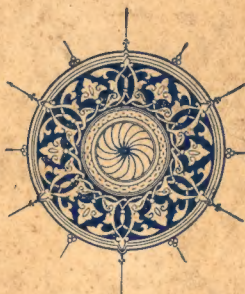












Bibliotheca Alexandrina



0415765

المطبعة الهاشمية بدمشق